تحـــريض

ولكنه[1] لا يثير أحدا ، ولن يهيج أحدا ، ولن يغيظ أحدا ، لأن سره واضح والكيد فيه ظاهر ، والمكر فيه أوضح من أن يخفى على الناس .

فأنت قد قرأت – من غير شك – هذه الرسالة التى أبرق بها مكاتب التيمس إلى صحيفته ونشرتها الصحف مساء السبت . وأنت قد رأيت فيها – من غير شك هذه الجملة المريبة التى ختم بها مراسل التيمس حديثه عن موقف المصريين من التبشير والمبشرين . وأنت قد فهمت – من غير شك – أن مكاتب التيمس ليس راضيا ولا مسرورا لأن أمر المبشرين لم ينتج النتيجة التى يتمناها المستعمرون ، ولم ينته إلى الغاية التى يريدون أن ينتهى إليها وهى الفتنة المظلمة القاتمة التى يختلط فيها كل شىء ، ويفسد فيها كل شىء وتفترق فيها الآثام ، وتجترح فيها الجنايات ، ويكون فيها الاعتداء على الأنفس والأموال ، وتكون فيها الفرقة بين المسلمين وغير المسلمين ، ويضطرب فيها النظام إلى أقصى غايات الاضطراب ، ويلجأ فيها الأجانب إلى دار المندوب السامى مستغيثين ومستجيرين ، فتسرع إليهم بالغوث ، وتمد لهم فى الجوار وتعلن إلى مصر وإلى غير مصر أنها مضطرة إلى العمل لحماية الأنفس والأموال ، وصيانة الأمن والنظام ، بعد أن عجزت الحكومة عن أن تحمى الأنفس والأموال ، وتصون الأمن والنظام .

هذا هو الذى يتمناه المستعمرون ، ويودون لو ظفروا به ، ووفقوا إليه ، ومن يدرى ؟ لعلهم يضيقون بهدوء مصر ، ولايكفيهم أن تضطرب فيها النفوس ، وإنما يريدون هذا الاضطراب البغيض الذى يمكن من انتهاز الفرص والصيد فى الماء العكر كما يقولون . ومن المرجح أن مكاتب التيمس لايرضيه أن يرى مصر – كما هى الآن – ساخطة أشد السخط ، ولكن فى هدوء يحرج ويغيظ ، فهو أشبه بهذه السيدة الجميلة الفاتنة التى لايعجبها هدوء البحر واستقراره فتتمنى على ربان السفينة لوثارت عاصفة أوهاج البحر بعض الهياج لتضطرب السفينة شيئا من الاضطراب .

---

(١) كوكب الشرق فى ١٧ – ٧ – ١٩٣٣ .

مكاتب التيمس يسجل أن الحكومة اضطرت إلى أن تتخذ احتياطات شديدة لتخفف السخط على المبشرين وتهدىء إنكار الناس لما يقترفون من إثم ، ومايسرفون فيه من عدوان . وكم كنا نحب لو أن الحكومة اتخذت من الإجراء مايهدىء سخط الناس حقا ، واضطرت مكاتب التيمس إلى أن يسجل شيئا غير الذى سجله ، إلى أن يسجل مثلا أنها أغلقت بعض معاهد التبشير(١) لتكف عدوانهم فيهدأ الناس ، وتمحو آثامهم فيرضى الناس ويسجل مثلا أنها انتفعت بالإذن الذى أصدره وزير الخارجية البريطانية إلى المندوب السامى فى أن يتحدث إلى الحكومة فى تنظيم المراقبة التى تفرض على المبشرين ، فأسرعت فى هذا الحديث وفرغت منه وهيأت مشروع قانون يمكنها من هذه المراقبة ، وجدّت في إصدار هذا القانون كما تجدّ فى غيره من الأعمال التى لاتدعو إليها حاجة قاسية ولاتفرضها ضرورة ملحة . ويسجل مثلا أن الحكومة قد فهمت واجبها على وجهه ، ونهضت بهذا الواجب كما ينبغى أن تنهض به الحكومة الرشيدة التى تعرف حرمة الدولة وتريد أن ترعاها ، والتى تقدر كرامة الدولة وتريد أن تحفظها ، فرأت أن مراقبة التبشير والمبشرين لاتكفى لإرضاء المصريين ورعاية حرماتهم والمحافظة على كرامتهم . وإنما السبيل فى ذلك أن يمنع التبشير فى مصر منعا ، وأن يحظر على الأجانب مهما يكونوا أن يدخلوا بين الناس وبين عقائدهم ودياناتهم فهيأت مشروع قانون تمنع به التبشير وتحرمه تحريما . ويسجل مثلا أن الحكومة المصرية فهمت آخر الأمر أن التبشير إنما يقبل فى بلاد الهمج والمتوحشين ، لافى بلاد الحضارة الراسخة والمدنية الراقية ، وأن مصر عرفت المسيحية قبل أن تعرفها أوربا وأمريكا ، وحمت المسيحية قبل أن تحميها أوربا وأمريكا ، وقام فيها للمسيحية مجد قديم ليس أقل خطرا من المجد الذى قام لها فى أوربا وأمريكا . فلا ينبغى أن يغير قوم من الآفاقين وطلاب الرزق على مصر باسم المسيحية التى نشأت فيها ووجدت فيها العز والأمن والمجد . وفهمت ولو بعد طول الوقت وكثرة الانتظار أن الإسلام دين خير وبر ، ودين مودة ومعروف ، ودين حضارة ورقى . وقد أنقذ العالم وقتا ما من طغيان الطغاة وبغى البغاة ، وظلم الظالمين ، ورفع لواء العلم والحضارة ظافرا

---

(١) حدث فى تركيا أن المبشرين نصروا بعض الفتيات المسلمات ، فما كان من الحكومة إلا أن استولت على بعض المدارس التى وقعت فيها مثل تلك الحوادث ، وطردت أصحابها والمشرفين عليها إلى خارج البلاد . ثم أهابت بالشعب أن يقاطع المدارس الأجنبية فلبى النداء وبذلك أغلقت تلك المدارس أبوابها ورحل عنها أصحابها ، وكان المصريون يريدون أن تحذو حكومتهم حذو الحكومة التركية ، ولكن وجود الامتيازات كان حائلا . فظلت المدارس الأجنبية على وضعها وازداد إقبال المسلمين عليها . حقا إنها تخلت عن مهمتها التبشيرية وقبلت أن يدرس الدين الإسلامى للتلاميذ المسلمين ، وخضعت لرقابة الحكومة .

مؤيدا ، وهو اليوم كما كان أمس قادر على أن ينقذ أهله وغير أهله من الظلم والبغى والطغيان ، وهو اليوم – كما كان بالأمس قادر على أن يظل العلم ويحميه ، وعلى أن يظل الحضارة ويرعاها . وماينبغى لبلد تعيش فيه المسيحية والإسلام فى مودة وصفاء أن يفسد أمره الأجنبى متعصبا لدين على دين ، معتديا باسم دين على دين ، مفسدا لما بين الدينين من المودة وحسن الجوار ، باعثا لهذه العواطف المنكرة ، عواطف التعصب والحقد والبغض باسم العقيدة والدين .

كنا نحب أن يسجل مكاتب التيمس أن حكومتنا قد فهمت هذا كله فتحدثت إلى المندوب السامى وإلى غيره من الوزراء المفوضين فى تحريم التبشير ، واجتثاث أصله من هذا البلد ، وكنا نحب أن يسجل مكاتب التيمس أن الحكومة المصرية الإسلامية قد فهمت آخر الأمر أن الإسلام لايبيح هذا النوع من التبشير فى السر مرة وفى الجهر مرة أخرى وإنه لايقبل من غير المسلم دينا إن مال إليه أو رغب فيه بنص القرآن الكريم ، فتحدثت إلى الدول فى أن دستورها يجعل الإسلام دين الدولة ، وفى أنها لاتستطيع أن تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض ، فهى مضطرة إلى أن تقطع أسباب الردة ، وتلغى البواعث والمغريات التى يدفع إليها الجهال والضعفاء ، وتغرى بها الفقراء والبائسين . كنا نود لو سجل مكاتب التيمس هذا كله ولكنه لم يستطع أن يسجله لأن حكومتنا لم تستطع أن تفكر فيه ، ولا أن تهم به ! ولأن علماء الإسلام فى مصر لم يستطيعوا – مع الأسف – أن يجهروا به ، أو يدعوا إليه ، إنما استطاع مكاتب التيمس أن يسجل ماعملته الحكومة ، والحكومة لم تعمل إلى الآن إلا أنها أعلنت عن نفسها ، وألحت فى الإعلان ، ثم جدت فى منع الناس من الاجتماع بحجة أن اجتماعهم يفسد النظام ويعرض الأمن للخطر فهذه هى الاحتياطات الشديدة التى اتخذتها الحكومة لحماية المبشرين . وكم كنا نود لو يسجل مكاتب التيمس معها الاحتياطات الشديدة التى اتخذتها لحماية المصريين على اختلاف دياناتهم من الأجانب المبشرين ! كم كنا نود لو يسجل مكاتب التيمس أن حكومتنا وقفت موقف الحياد الدقيق الحازم !! فكفت كلا عن كل ، وصدت كل معتد عن العدوان ، وكل باغ عن البغى ! ولكن حكومتنا – والحمد لله على الخير والشر – لم تتح لمكاتب التيمس أن يسجل هذا ، لأن حكومتنا – والحمد لله على الخير والشر – لاتعرف الشدة إلا على المصريين ، ولاتعرف اللين إلا للأجانب .

ومن المحقور أن مكاتب التيمس راض عن شدة الحكومة على المصريين ولكنه ساخط على هدوء مصر وضبطها لنفسها وإيثارها للعافية واجتنابها للفتنة . انظر إليه إنه ليعلن فى

استحياء عن خيبة الأمل لأن غير الوفديين لايستطيعون أن يثيروا العامة وأن يضطروا الحكومة حقا ، ويضطروها إلى استعمال العنف والشدة ، متحفظ لايدعو إلى الفتنة ولايحض عليها . ومكاتب التيمس لايرضيه من الوفد إلا أن يشب نار الفتنة ويضرمها ويحرق بها كل شيء ، فهو يحرض الوفد على ذلك ، وهو يغرى الوفد بذلك ، وهو يزعم ليصل إلى هذا التحريض والإغراء أن الوفد إنما يتحفظ ويجتنب الفتنة رعاية للذين يؤيدونه من الأقباط !

تبارك الله الذى منح مكاتب التيمس من الذكاء والفطنة ماطوع له أن يكتب هذا الكلام ، ولم لا ؟ أليس هذا الكلام خليقا أن يثير الوفد ، ويدعوه إلى أن يجدّ فى أن يدفع عن نفسه تهمة الانحياز للأقباط والتقصير فى الذود عن الإسلام ، ويومئذ تثور الفتنة وتضطرم نارها ويظفر مكاتب التيمس بما يريد من الاضطراب ، ولكن الله الذى منح مكاتب التيمس هذا الذكاء النادر ، وهذه الفطنة البارعة منح الوفد قليلا من الذكاء ، وقليلا من الفطنة ، وهداه إلى أن الفتنة شيء ينفع الانجليز ولاينفع المصريين ، وإلى أن الفتنة مفسدة للنهضة المصرية ، وإلى أن الفتنة شيء لايرضاه الإسلام ، ولاترضاه المسيحية ، وإلى أن إثارة الفتنة جناية على مصر ، وإثم فى حق مصر ، فهو لن يستجيب لدعوة مكاتب التيمس ، ولن يحقق أمنيته وأمنية أصحابه المستعمرين ولن يخرج عن موقفه الذى وقفه منذ الساعة الأولى ، وهو إنكار التبشير ، لا بالقياس إلى المسلمين وحدهم ، بل بالقياس إلى المصريين جميعا ، لا بالقياس إلى القصر والضعفاء وحدهم ، بل بالقياس إلى الراشدين والأقوياء . وهو لايخرج عن موقفه الذى وقفه منذ الساعة فلا يكتفى منها بإنشاء الملاجىء والمدارس ، وإنما يقدم على هذا كله ، ويريد قبل هذا كله أن تجد الحكومة فى إصدار القوانين التى تمكن الدولة من مراقبة التعليم الأجنبى كله ، والتى تحرم التبشير فى مصر تحريما . والوفد لايخرج عن موقفه الذى وقفه منذ الساعة الأولى والذى أعلن فيه بلسان صحفه وفى صراحة لاتحتمل شكا ولاريبا أن التبشير فى بلد كمصر جناية على الحضارة ، جناية على الإنسانية الراقية . فلا ينبغى للحكومة المصرية أن تقره أو تسكت عنه.

قال الوفد ذلك منذ الساعة الأولى ، وهو يقول ذلك الآن ، وسيقوله غدا ، وعلى الحكومة أن تسمع وعلى الحكومة أن تنهض بالواجب بعد أن تبين لها . وما كان الوفد وإن كره مكاتب التيمس وكره معه المستعمرون أن يضطر الحكومة إلى ذلك بالفتنة ، فليس الوفد من الفتنة والثورة فى شيء .

ونحن نعلم أن هدوء الوفد يغيظ قوما ، ولكن مارأى هؤلاء السادة فى أننا سنحرص على هذا الهدوء الحازم . وفى أننا لسنا مكلفين أن نرفع عنهم آلام الغيظ .